فلسطين .
ولكن الواقع يفند هذا كله . فقضية تحرير فلسطين وقضية الوحدة قضية واحدة . والوحدة لا تتحقق بقرار ولا باستفتاء وتحرير فلسطين لا يتحقق بقرار ولا باستفتاء . ان تحقيق الوحدة يحتاج الى كفاح طويل وشاق ، ضد الرجعية والامبريالية والصهيونية . ولن تتحقق وحدة دون الصراع مع هذه القوى كلها ، ودون حروب صغيرة وكبيرة . كما أن تحرير فلسطين يحتاج الى كفاح طويل ، كفاح ضد الصهيونية ، وضد الدولة الصهيونية ، كفاح ضد الرجعية العربية وضد الامبريالية العالمية . وهو كفاح من اجل وحدة القوى العربية المقاتلة التي تحاول الرجعية العربية ودولة الاحتلال الصهيوني والامبريالية العالمية منع وحدتها .
ولان هذا الكفاح طويل ومرير وشاق ، ولانه كفاح ضد قوى كبيرة ، وذات امكانيات هائلة ، كان لا بد من أن يصبح قضية الجماهير العربية كلها .
كيف ؟
هذا ما كان يجب ان يبحثه « المنظرون » الثوريون المخلصون ، الحريصون على التحرير وفلسطين والوحدة . وهذا ما لم يبحثه ياسين والياس ولطف الله سليمان الخ . ولقد اكتفى هؤلاء بأن اخذوا موقفا سلبيا وعدائيا من المقاومة ، وذهبوا الى حد اعتبارها نقيضا للوحدة والنضال الوحدوي .
ومع هذا فانهم لم يناضلوا من أجل الوحدة ، هدفهم العزيز الغالي الذي ابتذلوه ، عندما أفرغوه من محتواه النضالي .
وكانت النتيجة الطبيعية ان لا يفعلوا شيئا للوحدة او للتحرير ، وان يعملوا على عزل المقاومة الفلسطينية عربيا . لماذا ؟ لانهم ارادوا المقاومة غير ما كانت . ارادوها من مكان فجاءت من مكان اخر ، وأرادوا ان تكون لها قيادة ، فكانت قيادة اخرى ، وارادوها ان تكون حربا نظامية فلم تكن . ولكن الثورات لا تصنعها اهواء المثقفين وامزجة المنظرين ، ان الواقع هو الذي يصنعها . والثوري الذي لا يستطيع معرفة مكان الانفجار واتجاهه ، ولا يشارك فيه ، وفي توجيهه وتصعيده ، يبقى على رصيف التاريخ يطلق الاحكام ويعيش الاوهام .
ولقد انفجرت المقاومة الفلسطينية سنة ١٩٦٥ ، عندما كانت الحركة العربية في مرحلة جزر شديد ، وعندما فشلت برامج النضال الوحدوي مؤقتا ، ولم تستطع الاحزاب والانظمة وحدوية وغير وحدوية ان تقنع الشعب الفلسطيني بأنها جادة في العمل من اجل معركة التحرير . وجاءت حرب حزيران فزادت المعركة تأججا والجماهير استعدادا للمشاركة ، واصبحت المقاومة الفلسطينية ظاهرة اندفاع عربي واجماع عربي شعبي ، لا يمثل الوحدة فحسب ، ولا يعبر عنها فقط ، بل يمثل الاصرار على التحرير ومحاربة الصهيونية والامبريالية ايضا .
واذا كانت المقاومة قد عجزت عن تثوير هذا المد الزاخر ، وعن تحويله الى وحدة جماهيرية حقيقية ، والى نضال من اجل الوحدة والتحرير معا ، فليس ذلك نتيجة عجزها وحدها . انها نتيجة عجز الحركة الوطنية العربية ، بكل أجنحتها ودولها وانظمتها وفلاسفتها ومنظريها أساسا .
وعن هذا العجز لا يريد أن يتحدث ياسين والياس والآخرون ، لانه عجزهم ، عارهم ، فشلهم ، هروبهم . وما دامت القضية كذلك فلماذا لا يكابرون ولا يهاترون ؟
لقد عجزوا عن وعي ابعاد معركة الوحدة ومعركة التحرير ، فاختاروا مفهوما مبتذلا للوحدة ، وأعطوها مضمونا شكليا وضيقا وغير وحدوي بالخلط بين الامكان والواقع ، وبعدم تحليل القوى السياسية ومجالات عملها تحليلا علميا .
كما انهم عجزوا عن معرفة مكان قضية فلسطين في معركة الوحدة ، فأجلوها بجرة قلم ، وقرروا وضعها باحتقار في درج من ادراجهم المظلمة ، وطالبوا الجماهير ان تعاملها